

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزائرية؛ المرجعية والافتراضية
جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

**The historical charcter in the Algerian short story:the
reference and the hypothetical
Jamila by Ahmed ben Achour as a model**

د.مخفي إكرام¹

¹المدرسة العليا للأساتذة-بشار- (الجزائر)،

ikrammekhfi44@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2024/01/01 تاريخ القبول: 2024/02/24 تاريخ النشر: 2024/03/03

ملخص:

ولا مناص في أن القصة القصيرة و الجزائرية بخاصة جنس أدبي له خصائصه الفنية المميزة له، ظهرت لتختصر الحجم الذي عرفت به الرواية أو حتى المسرحية، وقد جاءت استجابة لطموح الفرد الجزائري الذي ضاق ذرعا من الاستعمار ونادى بالحرية والأمل في تسريع الحصول عليها، وطرد المستعمر. وقد ظل التاريخ ذاكرة حاضرة في مخيلة الفرد الجزائري كان لحضوره في كتب التاريخ باعتماد الصرامة العلمية وتوصيف الحقائق ونقلها كما هي التأثير الواضح في مستقبل الجزائر في حفظ الهوية وتوعية الشعب بما تعنيه الثورة بما هي أبرز محطة احتفظ به التاريخ المعلوم.

إلا أن النصوص الأدبية تشربت هي الأخرى هذا التاريخ وكان حاضرا في متونها فأعيدت قراءته بأسلوب فني بديع جعل من الحقائق الجافة معطيات يمكن استيعابها بنوع من التأويل الجديد الذي سيعيد إنتاج هذا التاريخ على مستوى الناص والمُلْتَقِي الذي يقدم النص المتشرب للتاريخ.

كلمات مفتاحية: الشخصية التاريخية، القصة القصيرة، المرجعية، الافتراضية.

Abstract:

It is inevitable that the short story, the Algerian in particular, is a literary genre that has its own distinctive artistic characteristics, it is appeared to summarize the size by which the novel or even the play was known, It came in response to the ambition of the Algerian individual who was fed up with colonialism and called for freedom and the hope and accelerating its acquisition and expelling the colonizer. History has remained a present memory in the imagination of the Algerian individual. it presences in history books, with the adoption of scientific rigor and transmission of facts as they are, has had a clear impact on the future of Algeria in preserving identity and educating the people about what the revolution means, as it is the most prominent station preserved in known history.

However, literary texts also absorbed this history and it was present in their contents, so they were re-read in a wonderful artistic style that turned the dry facts into data that could be absorbed with a kind of new interpretation that would reproduce this history at the meeting place that presents the text absorbed by history.

Keywords: The historical character, the Algerian short story, the reference, the hypothetical.

*المؤلف المرسل: مخفي إكرام

1. مقدمة:

لقد استطاعت القصة القصيرة الجزائرية أن تواكب مسار الأجناس الأدبية الأخرى وتؤكد حضورها طغى بشكل واضح في الساحة الأدبية، كما أنها عالجت أحداثا واقعية وأخرى خيالية تبعا لما يستدعيه الواقع الجزائري الحديث والمعاصر، وعلى الرغم من تأخر ظهورها إلا أنها نمت بشكل لافت لدرجة أنها استوعبت كل التقنيات

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزائرية: المرجعية والافتراضية

جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

السردية والآليات الكتابية للغور في أعماق المجتمع الجزائري بعامة، والشخصية الجزائرية بخاصة.

ولا ننفي المحاولات القصصية الجزائرية التي لم تنضج فنيا بالقدر الكافي؛ نظرا لظروف تاريخية استعمارية وأخرى ثقافية داخلية، فالاستعمار أتبع سياسة التجهيل وطمس الثقافة حتى يطمس الهوية الوطنية ويمنع انتشار الفكر والمعرفة داخل البلاد، إلا أن التأثير بالمشرق والسعي الحثيث نحو تغيير الواقع الثقافي بالجزائر قد غير مسار الحركة الإبداعية وسجل تجديدات وإسهامات كان لها يدها في ظهور كتابات كانت هي متنفس الفرد الجزائري المثقف وغير المثقف.

بالإضافة إلى تأثر الكتاب الجزائريين بالمدرسة المهرجية وجماعة الديوان وأبولو " وذلك عن طريق ما يصل إلى أيديهم من إبداعات هؤلاء، ومن أفكارهم ودراساتهم، والأديب الجزائري لم يكن منقطعا أو مفصولا عن سائر المجتمع العربي"(ابراهيم، 2014، ص48) ولهذا ازداد التتبع بفعل التأثير الإيجابي نظرا لتشابه الظروف والتقاطعات الفكرية والثقافية بين المشرق والمغرب، إلا أن التأثير لم يمنع من تميّز القلم الجزائري، واستغلاله للأساليب السردية بما يخدم التاريخ الجزائري والثورة بوجه خاص.

ولا غرو أن لليقظة العربية على المستوى القومي الدور البارز في إيقاظ الضمائر الفكرية وتحريك شعور متميز جدا لدى الكتاب الجزائريين ويتمثل في ضرورة العودة إلى التراث بعموميته والتاريخي والإسلامي بوجه خاص؛ حتى يعالجوا الحاضر المنكوب برؤى سحيقة قد استشرفت آنذاك مآل الوطن العربي ووضعه الأيديولوجي والبشري وقد كان الكتاب "يحاولون أن يستنهضوا الهمم التي ران عليها اليأس عن طريق مقارنتهم بين ذلك الحاضر المشرق العظيم، وبين الحاضر المنطفي اليأس، وكانت فترات اليأس والضياع تلك هي التي جعلتهم...يعكفون

د.مخفي إكرام

على تراثنا الإسلامي" (علي، 1997، ص40) ولكن هذا لا يعني أن استهضاهم لا يكون إلا بالعودة إلى الحاضر العريق فقط بل يمكن إحياء التاريخ بالتاريخ الذي ستحفظه الأجناس الأدبية على غرار كتب التاريخ للأجيال التي ستبوح عنه يوما ما متسائلة تارة، ومستزيدة لثقافتها تارة أخرى .

كما انبرت أجناس أدبية كثيرة ولكنها لم تلق الرّواج الكاف بعد جنس الشعر، إلا أن هذا لم يمنع من فكرة الخوض فيها بخاصة فنّ القصة القصيرة التي قالت الكثير عن التاريخ والثورة وعبرت عن الأهواء والعواطف بلغة كثيفة وخصائص فنية متميّزة زادت تأثيرا في نفس المتلقي، وقد اختصر الكثير من المبدعين أحداثا كفاحية عظيمة في نضال بطل واحد رجلا كان أم امرأة وهذا ما اتسمت به القصة القصيرة حيث تنسج أحداثها على وحدة الشخصية والحدث ولا تركّز كثيرا على عنصري الزمن والمكان.

1. القصة القصيرة وحضور التاريخ:

لقد استعانت القصة القصيرة الجزائرية بمحطات تاريخية كثيرة، ونسجت على أحداثها متخيلا سرديا زاد من التعمق في هذا الخزين الجماعي الذي لا شك في أنّه كان من أبرز البواعث التي حرّكت أقلام المبدعين، ودفعت بهم إلى تقديم تحليل جديد للتاريخ، لا يجتره ولا ينتقص من قيمته بقدر ما يحفظه ويسعى لترسيخه في ذهن القارئ الجزائري الذي لا يفتأ يضيق كثيرا ممّا تركه له التاريخ الأثري، كما تعكس القصة "واقعا المعاش بمختلف مظهراته التاريخية، وذلك إما بشكل سطحي وإما بطريقة تعتمد على الترميز والإحياء والتمويه والتشديد على الرسالة غير المباشرة" (جميل، دت، ص12) وليس شرطا أن تكون القصة القصيرة تاريخية بامتياز بل يمكنها الاتكاء والتحوير والتحويل الكمي والصيغي في وقائع قديمة وحديثة لتعطي النظرة الإيديولوجية الجديدة لواقعها المتجدّد دوما بفعل بفعل الظروف والملابسات .

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزائرية: المرجعية والافتراضية

جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

وقد لا تهدف القصة القصيرة الجزائرية إلى صهر مقومات التاريخ فقط بل تستضيفه لتتوسّله داخل النسيج السّردى فتتّكى النزاهة والصرامة في نقل الوقائع بمرجعياتها المختلفة، مع فتح أبواب تأويلية جديدة من خلال التخيل، فيتحرك الحدث التاريخي كنوع من التغلغل داخل المنجز السردى الذي تنبني عليه القصة القصيرة، ويسخر الكاتب التّاريخ من خلال القصة القصيرة مادة خام تغدو قابلة للتأويل لا المسخ والتشويه فقد "تستعير التّاريخ مادة وصياغة لتحويله إلى أسئلة وأجوبة، باستقراء العلاقة الموجودة بين المتسلّط والمحكوم من النواحي النّفسية والاجتماعية والإنسانية، وافترض مجموعة من العلاقات" (جميل، دت، ص51) التي من شأنها أن تخرج من نطاق العلائقية المحدودة بين القصة القصيرة ومسرودها والأحداث التاريخية التي تزيد النصّ انطلاقا وانفتاحا.

وتعتمد القصّة القصيرة حبكة قائمة على الشّخصيات على اختلاف أهوائها وانتمائاتها لهذا "تتكوّن الحبكة من شخصيات تكافح قوى الطّبيعة أو ضدّ القوى الاجتماعية والاقتصادية أو ضدّ كائنات بشرية أخرى" (نريكي أندرسون، دت، ص327) وقد أبدعت الشخصية داخل هذه القصّة القصيرة في التصدّي لمثل هذه المؤثرات الخارجيّة، وزادت عبر أيديولوجيتها وثورتها من نزاهة النصّ الذي بات معبرا هاما يحيل على دور المرأة الجزائرية إبّان الثورة، ولكن بكثير من التوصيف الفئّى الموحى، وبعض من الحقائق التّاريخية التي سجّلها كتب التاريخ عن ما خلّفته التجربة الاستعمارية في الجزائر.

2. جميلة بوحيرد وجميلة (بطلة القصة): بين التّماهي والانبعاث

لقد اندمجت شخصية القصة القصيرة هنا بشكل واضح للقارئ مع الشخصية التاريخية الحقيقية جميلة بوحيرد التي لا تخفى على أحد، من حيث

د.مخفي إكرام

وجودها النضالي وحتى على الصعيد الفني السينمائي حيث أخرج الفنان يوسف شاهين فيلما مصرياً بعنوان "جميلة" جسّد فيه هذه البطولة المفعمّة بالأنوثة الراضية للآخر والمتحدّية لبطش الجلادين والسّجانين، وجميلة من مواليد 1935 عرفت بأنّها مناضلة لا مثيل لها وقد انضمت إلى جبهة التحرير الوطني، وتصدّت للعدو الغاشم حين تحمّلت أقسى أنواع التعذيب من ولماً حكم عليها بالإعدام ندّد الرأي العام والعالم الخارجي لما آلت إليه مع الحكومة الفرنسية حتى تمّ إطلاق سراحها بعد استقلال الجزائر ونيلها الحرّية.

وقد تحدّثت قصة "جميلة" لأحمد عاشور وهي ضمن مجموعته طلاقات البنادق التي تحتوي واحداً وثلاثين (31) قصة قصيرة كلّها ذات مضامين ثورية، تحكي ما عاناه المواطن الجزائري، كما تحكي عن الآخر وتباين في تقديم صوره داخل نسيجها السّردى فتارة تهزأ وتستهين به وتارة تتعاطف معه، إنّها قصص ثورية خالصة تعود بنا إلى أيام المقاومة والتخطيطات العسكرية، والتآلف بين المجاهدين رجالاً ونساءً

وتبدو جميلة بطلة القصة جدّ واعية بما يحدث في السّاحة السياسيّة ولا ينحصر في ما يجري من حرب بين الجزائر وفرنسا فقط، بل حتى ما يحدث بين فرنسا وألمانيا، وهي من اللواتي حملن السّلاح وهاجسها إخراج هذا العدو المتطّفل من أراضي بلادها الطّاهرة، حتى وإن كلّفها الأمر الكفاح لوحدها فقط دونما أيّ مساندة، وقد سردت القصة القصيرة مجريات بسيطة غير معقّدة، كما قد توقّع القارئ قبل فعل القراءة، فكان يمكن الاعتقاد بأنّ المسرود سيّشع بالأحداث الثورية، والتواريخ بالسنوات ومحطّات إحصائية أخرى لقتلى وجرحى.

ولكن المتخيّل السّردى قد ارتكز إلى توصيف نفسي لما تشعر به الشّخصية الجذع/البطلة جميلة "فهي التي تسرد لغيرها، أو يقع عليها سرد غيرها، وهي بهذا

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزئية: المرجعية والافتراضية

جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

المفهوم أداة وصف، أي أداة للسرد والعرض "(عبد الملك، 1990، ص67) بالإضافة إلى حوار التاجر مع صديقه.

وقد استهلّت القصة باستغراب التاجر من أكل جندي فرنسي للفاكهة بجوار بقال وغفلته عن سلاحه، إلى أن سرق منه وهذا نوع من القتل الرمزي للمستعمر والإطاحة بجبروته حيث أكد التاجر للصديق بأن العدو غافل وجبان وهذا ما أجزم عليه الصديق " إذا استطعنا أن نقاتل العدو بسلاحه، فمن سيكون أشدّ منا جرأة؟ وهل نشكّ في أننا غير منتصرين؟ أغلق الباب وأجلس نحتسي الشاي، فالشرطة الفرنسيون والجنود سوف يحدّقون بالسوق، ويجرون التفتيش في الدور والمتاجر في غلظة وتعتت" (أحمد، 1984، ص ص 140، 139). ولكنّه مجرد كلام عابر إذا اختزلت القوة كلّها والكفاح في فتاة شابة تدعى جميلة زارت الحانوت رفقة أخيها مراد وهي تسرد للتاجر الذي يعزّيها في نجاتها من حكم الإعدام، إلّا أنّها كانت مثال التحدّي والصمود لسيّاط الجنود، وتعذيبهم الذي لا يتحمّله أحد مهما كانت قوته النفسية والبدنية.

ورغم براءتها أخذ الظلم والعذاب منها الكثير لكنّها استمرت في إخلاصها للوطن، ورفضها للعن "جلدني الفرنسيون...بالبساط، وأملوني بالعذاب، فغشي علي من ذلك مرات، ولمّا يؤسوا أن أبوح إليهم بسرّ أو أخبرهم بمختفى خطيبي ورفاقه، أهملوني عدّة أيام" (أحمد، 1984، ص 42). وهذا المقتطف السردّي يظهر مدى التّمهي بين الشّخصية التاريخية المرجعية جميلة بوحيرد المجاهدة، والشخصية التاريخية الافتراضية جميلة الفتاة البسيطة التي يجعل القارئ هويتها الحقيقية داخل المنجز السردّي حيث لم يذكر الراوي لا زمان ولا مكان الأحداث.

والتطابق يتجلى حين " بدأت رحلتها القاسية مع التعذيب بالصّعق الكهربائي، من قبل قوات الاحتلال الفرنسي، ومع ذلك تحمّلت التعذيب ولم

د.مخفي إكرام

تعترف بأسماء أو أماكن وجود رفاقها المجاهدين قبل أن تقدّم إلى محاكمة صورية انتهت بصدور الحكم عليها بالإعدام" (مجلة إفريقيا قارتنا، 2014، ص2). ولو قارنا بين سياق الحكم بالإعدام على جميلة المرجعية والافتراضية سنجد بأنّ الأولى كان لأسباب عديدة بخاصة حين علا شأنها وسط المقاومة الجزائرية، وعرفت في الوطن العربي وحتى الدّولي فتكتّمت على أسرار المجاهدين رغم أنها امرأة ضعيفة وفي مستقبل العمر، في حين بطلّة القصّة القصيرة أقرّت للتاجر بأن سبب الحكم عليها هو إخفاؤها مكان خطيبها الذي يتقّى الجنود آثاره.

كما يستمرّ التقاطع بين الشخصيتين حين تقمّصت جميلة دور جميلة بوخيرد التي تمرّدت على العدو قولاً وفعلاً وخاطبته بأقصى العبارات التي زادت عظمة في عين الثّوار والحكومة، وتحدثت عن التاريخ بأفضل لسان " أَلستم أنتم قتلتم الأبرياء الجزائريين أكثر من مليون؟ ومن في النّاس لا يعلم أنكم جمعتهم من الجنود لإبادتنا ما يزيد على ألف ألف...نحن لا نخشاكم لأنكم جبناء. فالسّلاح في أيديكم كالحليّ في أيدي النساء، فما أسرع أن تستكينوا وتفضلوا عندما يصبح عليكم رجالنا في الوقائع ويهجمون" (أحمد، 1984، ص142). ولكن البحث هنا لا يركّز على المقاربة المقارنة بين الشّخصيتين المرجعية والافتراضية بقدر ما يريد أن يصل إلى كنه الحدث التّاريخي من خلال التّاريخ والمنجز السّردى عبر المرأة الجزائرية الثائرة كشخصية بارزة، تحكي عن نفسها وتروي ما يشغل ضميرها ووطنيتها فحالت إلى راوي ملاً النصّ بمحكيات نفسية كفيلة بأن يتوقف عندها كلّ قارئ جزائري غيور على وطنه من بطش المستعمر "عندما يتحدّث الرّاوي-البطل إلى نفسه فإننا نسمع حوار الدّاخل الذي يتألّف من مجموعة انطباعات يقوم بسرد ما يجري حوله وإذا ما أخذ يتذكّر يتحوّل حوار الدّاخل إلى مجموعة من الذّكريات ويقوم بربط الأحداث الماضية بتجربة الحاضر" (إنريكي، دت، ص78) وهو ما جسّدته البطلّة ببراعة لافتة.

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزائرية: المرجعية والافتراضية

جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

ولم يكن الهدف من الحديث عنها توثيق الوقائع، وإنما تقديم المرأة في صورة تليق بها، وبفنية أكثر من خلال الأساليب السردية، حيث كانت اللغة الكثيفة وسيلة مغرية لتشويق القارئ لمعرفة تفاصيل حياتية أخرى في حياة جميلة بوحيرد التي ترمز إليها جميلة بطلّة القصة القصيرة.

فجميلة في ثنائية المرجع/ المتخيل استطاعت أن تجمع بين القوة والجمال، وبين الوصول والانطلاق من جديد، فما يهمها هو فداء الجزائر دما وروحا لهذا خافها الآخر وحرّرها كي لا تبث هذه الروح المقاومة بين الجزائريين المستضعفين، فهي تصرخ في وجه المستعمر "إننا حماة الديمقراطية، وأنصار السلام وهنا توقفت عن الكلام، ونظرت إلى الرئيس، واعتقدت أنه سيأمرهم أن ينطلقوا بي إلى السجن، لكن دهشت إذ أشار إليّ وهو مطرق: انصربي..." (أحمد، 1984، ص143) وهو المأل نفسه لجميلة بوحيرد التي لم يعدمها العدو خوفا من ردود أفعال محلية ودولية بخاصة وأنّ التعذيب والأسر قد كان في سنوات الثورة المتأججة.

3. التاريخ وإعادة الإنتاج في قصة جميلة:

لم يتجسّد التاريخ هنا كنصّ استشهادي بل تجاوز ذلك إلى نصّ تخيليّ قوامه شخصية مرجعية لها فعلها وانتمائها التاريخي فتكتّف فيها الإنجاز الثوري، وقالت الكثير انطلاقا من اسمها الشخصي الذي بات أيقونة تاريخية حافلة بالشفرات التي تقتضي التوقّف عندها والتّمعن فيها.

كما أجادت القصة القصيرة رغم قلة الأحداث والشخصيات تقديم صورة جديدة للمرأة المجاهدة/الشهيدة و جعل منها رمزا حاضرا في كل وقت وحين، فغدا اسم جميلة مبعثا للتّحدي والمقاومة، والصمود أمام أي عامل خارجي مهما كانت قوته، مهما تقادمت الأجيال وفي كلّ زمان ومكان. ولولا نجاح الأدباء في دمج صفات الشخصية التاريخية الحقيقية في التخيلية لما استوعب القارئ فكرة التّماهي

د.مخفي إكرام

المتحققة في الصّفة والانتماء وكثير من المعالم الخاصّة و"الكتّاب كانوا يستنزفون نشاطهم الذّهني وينهكون خيالهم حتّى يعنتوه في رسم الشّخصيّة إلى أن تبدو للقارئ شخصا ذا صفات تاريخية" (عبد الملك، ص68).

وهذا النصّ القصصيّ يقدّم لفئة لها واسع الصّلة بالتيمة المعالجة ولو بشكل غير دقيق فالجزائريون بوجه خاص يعون جيّدا ما فعله الثّوار رجالا ونساء ويحفظ الكثير من أسمائهم، ولو سقطت عنهم أفعالهم الكفاحية "إنهم القراء الذين يفهمون معنى القصّة القصيرة ويتّفقون مع الرّاي ويعودون ليعيشوا تجربته الأصيلّة" (إنريكي، ص61). بكل اندماج وتجاوب لا ينمّان إلا عن وعي بالتاريخ لأجل التاريخ.

4. خاتمة:

ختاما؛ يمكن القول بأنّ الشخصية التاريخية على اعتبار المرجعية والافتراضية في هذه القصّة القصيرة قد أكدت بأن الاستعمار إبان الثّورة التحريرية، ومن خلال محطة تاريخية تمثّلت في حياة الشّهيدة الحيّة كما يلقّبها العامة قد شوّه الهوية واللّغة والتاريخ وعلى الرّغم من أن إعادة هذه المقوّمات بات عسيرا فإن قراءته من جديد ممكنة، وفعل الإنتاج يسمح بقراءة أعمق وأنجع لكلّ ما ضاع بفعل التجربة الاستعمارية التي تركت خلفها شعوبا مشوهة في هوياتها ولغاتها وتاريخها، وأصبح من غير الممكن استعادة ذلك" (عبد الله، 2011، ص247).

فحتى الاستقلال سجّل عودة الكرامة والحرية ولكن ما حفظه الخزين والتاريخ من سواد وعذاب سيبقى حائلا بين السيادة الصافية من الماضي السّحيق إلى المستقبل المعلق دوما تحت شعار القوي يأكل الضعيف دائما وأبدا.

الشخصية التاريخية في القصة القصيرة الجزائرية: المرجعية والافتراضية

جميلة لأحمد عاشور-أنموذجا-

5. قائمة المراجع:

- عباس، ابراهيم.(2014). القصة القصيرة في الأدب الجزائري المعاصر، (ط1). الجزائر: دار أطفالنا للنشر والتوزيع.
- زايد، علي عشري.(1997). استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر، (ط1). مصر: دار الفكر العربي المعاصر.
- حمداوي، جميل.(دت). الرواية التاريخية، أشكال الرواية التاريخية في الأدب العربي الحديث والمعاصر، المغرب: منشورات المعارف.
- إمبرت، إنريكي أندرسون.(دت). القصة القصيرة الجزائرية، النظرية والتقنية، تر: علي ابراهيم علي منوفي(ط1). مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
- مرتاض، عبد الملك.(1990). القصة الجزائرية المعاصرة، (ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- عاشور أحمد،(1984). طلقات البنادق، قصة جميلة، قصص، (ط1). الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب.
- مجلة إفريقيا قارتنا،(2014) العدد الحادي عشر.
- ابراهيم، عبد الله،(2011)، التخيل التاريخي، السرد الإمبراطورية، والتجربة الاستعمارية.(ط1). لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.